

Couverture et mise en page : Z. Benamira
Imp. **ALEXANDRE**, Constantine, Tel. : 031 62 01 18

التسمية في الجزائريين اختيارات الآباء وموضات العصر

دادوة حضرية نبية

باحثة دائمة، مركز البحث في الانثروبولوجيا
الاجتماعية والثقافية، وهران

ملخص :

الاسم الشخصي ما هو في الحقيقة إلا صورة حيّة عن العصر الذي نعيش فيه. نلاحظ في السنوات الأخيرة تراجعاً للنماذج التقليدية للأسماء، و عرف مؤشراً نتاج ضعيفة. لقد أصبح الآباء منتبهين جيداً لآليات اصطفاء أسماء أبنائهم، وذلك بتنوع الأذواق ووفقاً للمستويات والمراكز الاجتماعية التي يشغلها أفراد العائلة. وبالتالي أصبحت الاختيارات التسموية غالباً ما تعتمد على ما هو شائع في العالم دون احترام الأسماء المحلية.

الكلمات المفتاحية :

التسمية، الجزائري، الموضة، الأسماء التقليدية.

Résumé :

Le prénom n'est en vérité que l'image de la société dans laquelle nous vivons. Nous remarquons, au cours des dernières années, une régression des prénoms traditionnels, avec un indice de faibles résultats. Les parents sont devenus très attentifs aux mécanismes de choix des prénoms de leurs enfants, avec la diversité des goûts et selon les niveaux

des statuts sociaux par des membres de la famille. Actuellement, le choix dépend, le plus souvent sur des prénoms à la mode tout en négligeant les prénoms locaux.

Mots clé :

Nomination, Algérie, Mode, Prénoms traditionnels.

Abstract :

The first name is indeed the image of the society in which we live. We note , in recent years, a decline in traditional names, with an index of poor results. The parents became very attentive to the mechanisms of choice of first names of their children, with the diversity of tastes and according to the levels of social status by family members. Currently, the choice depends mostly on fashionable names while neglecting local names.

Key words :

Naming, Algeria, Fashion, traditional First.

مقدمة :

لقد مكنتنا الدراسة اللغوية والتاريخية لأصل أسماء الأشخاص على مدى التاريخ الطويل للمجتمع الجزائري من ملاحظة ما أنتجته هذه الظروف الطارئة التي عاشتها البلاد من هوية جديدة تبلورت في الأسماء بصفة عامة، وهذا ما يتناسب وتطورات الظرف التاريخي المؤسس لمعالم مرجعيتها و انتمائها الحضاري، هذا التصور الذهني لأصل أسماء الأشخاص : «رمز الكل، المجموع مثلما يتحدث عنه جيدا جاك بارك عندما يتحدث عن الهويات الجماعية وقضايا التاريخ»¹

1. بن رمضان فريد، من الاسم إلى الرمز، مجلة إنسانيات، مطبوعات المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية. وهران، عدد 09، 1999، ص. 85.

لقد انعكس توالي الأحداث المعاصرة بالجزائر من ثورة تحريرية (1954-1962) الى ثورات اقتصادية، ثقافية و زراعية، ثم مرحلة الانفتاح السياسي و الاقتصادي و ما تبعها من سنوات الارهاب و التي انتهت بمرحلة الوئام المدني، على الاختيارات العامة للأسماء فبرزت الأذواق المحافظة و التي تميل وجهة المرجعية الدينية ثم تبعها الاختيارات الوطنية وفقا لمخلفات الثورة و ما نجم عنها من تحولات في ذهنية الفرد الجزائري.

الاسم ما هو في الحقيقة إلا صورة ناطقة، حية عن العصر الذي نعيش فيه ففي حين حافظ البعض على الطقوس القديمة للاختيار و التي تقتضي تدخلا أكبر لأفراد عائلة الزوج خاصة، لكن بأسلوب يحمل الكثير من المرونة و الديمقراطية، أدخل البعض الآخر عناصر تعدت النطاق الضيق للأسرة الواحدة، لتصل أحيانا حتى للأجانب عن فضائها العائلي، كالأصدقاء و المرضات اللاتي لاحظنا أنهن يسهمن بشكل كبير في توجيه عملية اختيار الأسماء : « من الشائع في مجتمعاتنا أن تسمية المولود عملية مهمة تعطى الأولوية فيها « للكبار». ولكن من المتعارف عليه أيضا، و في دائرة أوسع من المجتمعات المتوسطة، يتم اختيار اسم المولود في قائمة من أسماء الآباء و الأجداد أو ممن توفى من الأقارب و الذين يراد الاحتفاظ بذكراهم.»¹

أما الإشكال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو : من له الحق في التسمية ؟
أو من له سلطة التسمية، الأسرة ؟ الأب و الأم ؟ أم ضغوطات المجتمع ؟

1. فاطمة الزهراء قشي، التركيبة السكانية لقسنطينة الأسماء و الأنساب هوية و انتماء، الاسماء و التسمية، أسماء الأماكن، القبائل و الأشخاص في الجزائر. مطبوعات المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الثقافية و الاجتماعية. وهران، 2005، ص. 10

1. من صاحب الحق في التسمية ؟

إن القناعة التي نطمح إلى الاعتراف بها و التي تجبرنا على الانصياع لمنطقها أنه من حقوقنا الشرعية أن نحمل عنوانا يميّزنا عن بقية أقراننا في المجتمع وذلك باتفاق جميع الشرائع السماوية والوضعية.

«فمن حق الطفل المولود أن يدعى باسم وهذا ما جاء في وثيقة الأمم المتحدة لحقوق الطفل»¹. أكيد أن الآباء يسميان ابنهما بالاتفاق و التراضي رغم : «ان المولود يدعى باسم أبيه، وليس باسم أمه، فيقال خالد هو ابن صفوان، وليس خالد بن زينب والابن يتبع أباه في النسب، فمن الأجدى أن تطلق يد الأب في تسمية ابنه، مادام الأمر يخصه أكثر مما يخص أمه»². وجماع الأمر أن حق التسمية يكون للأب، و كلمته هي النافذة في مثل هذه الحال.

إن عملية اصطفاء الاسم تخضع لشروط كما رأينا و معظم الآباء نجدهم حريصين على الاختيارات الأصيلة النابعة من ثقافتنا و تقاليدنا، وهذا يدل على الوعي الذي حصل لدى الآباء فتجدهم يبحثون لأجل ابنهم حقاً اسماً أصيلاً، جديداً أو لم يستخدم بالفعل، ولكن الذي نصادفه أحيانا هذا الاختلاف المتنامي للاختيارات الذي لا يمنع حركات الموضة، لأنه ممكن أن يحمل نفس الفكرة في نفس اللحظة.

2. كيف يختار الآباء اسم طفلهم الأول أو البكر ؟

هل نقوم بجهد عندما نبحت و بأكثر أهمية أسماء لأطفالنا الأوائل ؟
من الممكن أن توضع مسبقاً قائمة من الأسماء الموافقة لعصرها و الموسومة بوقائع و أحداث معينة.

1. أحمد هيبى، التسمية في الاسلام، مجلة العربي، الكويت، 1997 العدد 462، ص. 167.

2. المرجع السابق ص. 167.

و الواقع أننا ألفينا بعض الآباء يحددون انطلاقاً من هذه المناسبة قائمة مطولة من الأسماء التي يفضلونها والتي لا تخضع نهائياً لأي تعديل. وبخلاف هذه النظرة نجد من تتحكم في اختياراتهم اعتبارات خاصة تتبع من ثقافة يعتقد فيها الأب كل الخير كرؤيته لحلم أو تعلقه الشديد بولي صالح الخ.

إن النتيجة التي يطمح إلى تحقيقها جل الآباء تتمثل في الاختيارات المتميزة، الفريدة و الأصيلة للأسماء. وينبغي أن نعترف بالصعوبات التي يواجهها موظفو الحالة المدنية أمام تنوع و تباين الأذواق العامة لهؤلاء الآباء. ولذلك كان ضرورياً تزويد آباء المستقبل بدليل يساعدهم على الاختيار. إن الأسماء ميدان غريب و عجيب، لكنّه خصب، زاخر بالأبعاد التأويلية و الإيحائية.

إننا نرى أنه ثمة أهمية بالغة في أن يكون من سيصبح أباً في المستقبل مزوداً بمعلومات حول، توارثات و اضطرابات الماضي و توقعات الحاضر للأسماء التي يريد اختيارها. ومثلما هو الحال بالنسبة للظواهر الأخرى وجدنا الأسماء على اختلاف منابقتها تخضع أيضاً لقانون الحياة، ثم الموت ثم البعث من جديد.

ومن علامات ذلك أننا وجدنا بعض الأسماء بلغت أوجها في مرحلة تاريخية معينة، ثم سجّلت هبوطاً مفاجئاً و هذا ما يفسّر لحظة موت هذه النسبة من الأسماء لتعود إلى الظهور بعد ذلك لتسجل نسبا عالية بين مختلف طبقات المجتمع.

وهذا يدلّ على أنّ الاسم دائماً يواكب و يعيش وقائع و أحداث اللحظة التاريخية، بل إنه عنصر فاعل و ذو بعد إيجابي بعيد التلمس.

وهذه نتيجة وجدنا ما يؤكدّها أثناء عملية تسجيل الأسماء لدى مصالح الحالة المدنية في المناطق التي درسناها في جولاتنا الميدانية المرتبطة

بمشاريع البحث الخاصة بالأسماء¹، حيث توصلنا إلى أن الأسماء الدينية والتي سجلت ارتفاعا محسوسا في سنوات السبعينات، تراجعت و بنسب كبيرة خلال سنوات الثمانينات حيث طبعت هذه المرحلة الأسماء الجمالية التي ساعدت على ظهورها وسائل الإعلام المختلفة.

مباشرة مع بداية التسعينات سجل عودة خاطفة للأسماء الدينية و بلوغها أوج المراتب تماشيا مع الحدث السياسي الذي كانت تعيشه البلاد وهذا مع ظهور التيار الديني الذي نشط العودة السريعة لهذه النوعية من الأسماء.

و نحن نتحدث عن الدليل الذي من شأنه أن يأخذ باختيارات الآباء إلى أبعد التصورات، صادفتنا إشكالية عدم وجود قانون يملي اختيار الأسماء حيث إنه : « لا يوجد هناك أي فرض لأمر ديني يملي اختيار الأسماء في اللغة العربية.»²

فقط القرآن الكريم مدين له أن يستظهر داخل نصه الشرعي المواعظ و كل ما يخص نشاطات المسلمين من صلاة و زكاة... إلخ، أما فيما يتعلق باختيارات الأسماء فإنها حرة بعيدة عن كل إجبار و إرغام لساني من وجهة نظر الإسلام.

3. عصر الآباء و موقع ميلاد الطفل

إن حرصنا على إبراز الفاعلية الدلالية للاسم تجعلنا ننساق إلى الحديث عن سن المستهلك الذي يكون غالبا من بين أول الأشياء التي يتم التفكير فيها

1. مشاريع البحث التي انجزنا معظمها بمركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية بوهان.

2. Fatiha, DIB, Les prénoms arabes, 1995 éditions l'Harmattan, Paris p. 12, 13.

عند محاولة نشر إنتاج جديد، و الذي نعني به موجه جديدة من الأسماء خاصة ما تعلق بأسماء الموهضة، «إذ في الواقع إن الآباء الحديثي العهد بالأبوة نجدهم أكثر حساسية بلا مقارنة مع الآباء كبار السن، في الانجذاب إلى الأسماء الحديثة أو تلك التي بصد التائق»¹.

المفارقة هذه و إن تؤكد أن الآباء كبار السن ينزعون عن اقتناع إلى الأسماء ذات الدلالات الدينية و التاريخية، فإنها تقدم لنا اختيارين كلاهما مطبوع بمميزات معينة و إن كانوا بيدوان لأول وهلة متعارضين، تيار يمثل الأصالة و العمل على نشر الأذواق الأصيلة النابعة من هويتنا و ثقافتنا، و آخر يدعو إلى المعاصرة و التجديد و استيراد نماذج حديثة تشع جمالا و رقة.

إن مرجع هذا الأمر إلى أن الآباء الأكثر شبابا هم الأكثر انجذابا إلى اختيار اسم الموهضة «و بهذا المعنى نجدهم أكثر قبولا لموهضة العصر»²

و من هنا برزت أهمية وضع دليل يعمل على توضيح للخلف مسيرة الاسم في الماضي و الحاضر، و أكيد أن هذا المنحنى يقدم لنا كفيات التعامل مع الموهضة، و لاشك في أن الأذواق تختلف و تتباين فمن «الآباء من يريد ملاءمتها و التكيف معها، و آخرون يديرون ظهورهم عنها و آخرون يمتنعون نهائيا عن مسابقتها و استباقها و في كل هذا نجدهم يحملون البطاقات بين أيديهم. إن هذا الانتشار و الاشتراك الواسع للأسماء بين الناس يعود بالتحديد أكثر إلى سلوك ينتهجه الآباء في تسمية أبنائهم وهو أن الاسم كان ينتقل عبر

1. Philippe BESNARD, Guy DESPLANQUES, 1991, un prénom pour toujours, Editions Balland, p. 48.

«Les jeunes parents sont un peu plus sensible que les parents âges à l'attrait des prénoms naissants ou qui montent.»

2. Philippe BESNARD, Guy DESPLANQUES, op. cit, p. 48.

«En ce sens, ils sont plus réceptifs à la mode du moment.»

الأجيال أكثر مما يتم اختياره وهذا ما يعرف بالأسلوب التقليدي الذي عرف في الآونة الأخيرة انهياره و زواله و تباينت نتائجه أكثر بين طبقات المجتمع. وعملية نقل الأسماء دون انتقائها من طرف الآباء إنما تدل على أن هؤلاء مجردون تمام التجرد من كل المعلومات و يجهلون تماما الآليات التي تتحكم في رغبات الآخرين و في اختياراتهم الخاصة.

أما الآن و قد تراجعتم النماذج التقليدية و عرف مؤشرا نتائج ضعيفة، فإنه من المؤكد أن الآباء أصبحوا منتبهين جيدا فيما يخص آليات اصطفاء الأسماء هذا العالم الذي عرف حديثا تطورا عظيما، و ذلك بتنوع الأذواق وفقا للمستويات و المراكز الاجتماعية التي يشغلها أفراد المجتمع.

ومع هذا الوعي الذي حصل لدى الآباء، أين أصبحت دوافعهم واعية و عقلانية حتى و لو كانت تحمل انشغالين متناقضين. ذلك أن اسم الطفل الذكر غالبا ما يُترجم جانبا هاما من تراث العائلة وجزءا أساسيا من هويتها الاجتماعية؛ إن اسم الطفل - الملك الذي يرث أباه و يخلد اسمه ونسبه؛ فهو المخول الوحيد للحفاظ على التراث الرمزي الجماعي للعائلة البطريقية التي يكون « الأب فيها والجد هو القائد الروحي للجماعة العائلية وينظم فيها أمور تسيير التراث الجماعي وله مرتبة خاصة تسمح له بالحفاظ غالبا بواسطة نظام محكم على تماسك الجماعة المنزلية. »¹ أصبح اليوم من حق الكل أن يُدلي بدلوه في مسألة الاختيار، حيث أرسى مبدأ التفاوض جذوره عميقا بين كل أفراد الأسرة الواحدة؛ فالأسرة البطريقية أضحت نوية يُخيم عليها الجو الديموقراطي و « ذلك لعدة اعتبارات منها تساوي منزلة الزوج مع منزلة زوجته وذلك بفضل المستوى الثقافي العلمي الذي تحصلت عليه

1. بوتنوشنت مصطفى، العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة، ترجمة دمري أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص. 37.

المرأة في هذه السنوات إذ حسنت كثيرا من وضعيتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية على الوضعية التي كانت عليها»¹

إنه إذن بين هذا الطموح الواسع للاختيارات المتميزة و النادرة للأسماء وبين ما يمكن أن يحدثه اصطفاء اسم شاذ و غريب. بين هاتين الجهتين تتحدد المسافة بين ما هو مشترك وبين ما هو شاذ، ومن هنا يتم الاختيار. ونجد عالم الأسماء معنيا بالتطور و التغيير لأن ذلك سمة كل ظاهرة في الوجود، وفقا للمراحل و الأحداث التاريخية و الاجتماعية التي تطرأ على المجتمعات. فإنه ثمة زمن لا بأس به أين عرفت سجلات الحالات المدنية المنتشرة ارتقاء في الذوق حيث حدث تطور عظيم في الأسماء التي يطلقها الأهل على أبنائهم و بناتهم و كأنما «الأسماء نفسها تخضع لقانون الحياة في التغيير و التبدل»² تماشيا مع موضاة العصر. ومع وعينا الشديد بهيمنة هذه الاختيارات الحديثة و جب علينا أن نتساءل لماذا تقوم الموضاة بإدارة اختيار الأسماء ؟

أکید أن اتباع عالم الموضاة أمر مقبول و يُتمنى بل ومرغوب فيه في بعده الحيوي، ولكن ليس كنشاط شخصي يستخدم في العمق لاختيار اسم المولود.

ومن المناسب أن نتساءل هنا عن الدوافع التي تجعل الآباء يميلون وجهة الأذواق الحديثة ؟

إنهم يطرحون و بصورة عفوية لهذه الفكرة رمية جيدة يضعون أمامهم رغباتهم الشخصية التي اكتسبوها منذ عهد طويل، علاوة على ذلك واجب

1. عقون محسن، تغيير بناء العائلة الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 17، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002، ص. 129

2. أحمد هبيبي، التسمية في الاسلام، مجلة العربي، الكويت، 1997 العدد 462، ص. 164.

التعامل مع مستجدات محيطهم، من ذلك وجدنا الآباء حديثا يحتجون على التقاليد الأسرية اسم لعم قديم أو على الدوافع الدينية وحتّى المحليّة.»
ومع هذا الطموح الواسع للآباء في الاختيارات والأذواق المتميّزة للأسماء واصطفاء اسم يتماشى والعصر، أمام هذه النزعة الجديدة، فإنه ثمة أمر جدير بالتقصي وهو ما الذي يدفع الاسم بأن يصبح في موقع الموضة؟ ما الذي يدفعه إلى أروقة الشهرة ويجعل الآباء يقبلون عليه؟

4. توجيهات الموضة للذوق العام بعيدا عن العادات القديمة :

إن العادات العائلية المؤسسة لأصالة أي شعب والتي اتسمت بالقوة والصلابة في عهود و أزمنة معينة حيث طغت الأذواق التقليدية القديمة، هذه الأخيرة تنازلت ورضخت أما العصرية وتوجيهات الموضة للذوق العام بعيدا عن العادات القديمة و عليه أصبح «ذوق اليوم ينظم اختيار الأسماء»¹

و كلما اقتربنا من العصر الحالي، كلما اكتشفنا أن الموضة أو العصرية تفرض نفسها كسيّدة مطلقة بتغييراتها وتقلباتها، مخلفة في المركز الثانوي وفي وضعية ضعيفة أو مبعدة كل العوامل التي كانت قديما متفوقة و راجحة، هاته العوامل التي اتصفت بلون عاطفي أو روحاني.كتلك الاختيارات التي طغت عليها منذ زمن بعيد الدلالات الدينية، أو التسمية على شخص عزيز مثل الجد أو الأم أو الأخت.

لكن ثمة سبب آخر أكثر حزما، الذي لا يجعل الاسم ملذة من ملذات الموضة فحسب، بل يجعله من نفعيات الموضة بامتياز، وهو أن الكثير من سلوكيات الاستهلاك تخضع على الأقل للمنطق الاجتماعي للموضة.

1. Albert DAUZET, Les noms de personnes, origines et évolution, 1939, Paris, Librairie de la Grave, p. 9 « Le goût du jour règle le choix des prénoms. »

ثم إن الأسماء التقليدية لا يمكن أن يعترها القدم بل تظل دائما في الذاكرة الشعبية، حارسا أمينا على معان طالما شاركت في تكوين الذهنية الروحية و التاريخية للأمة و من ثم لم يكن من الواجب وصفها بالأنماط التقليدية.

بالنسبة لتأثيرات الموضة أو العصرية فنجدها دائما هي التي تؤدي بالكثيرين إلى ترك أسمائهم القديمة الأصلية و يميلون وجهة الأذواق الحديثة مقتنعين كل الاقتناع أن للاسم دور عظيم في ترتيب الشخص داخل المجتمع. وكما يلاحظ فيليب برنار و غي ديبلانك فان : « البورجوازي أعطى لأطفاله أسماء المعمودية عادة هذه الأخيرة ما نجدها لدى الأسر الشريفة و النبيلة... حتى أن الفلاح قلد البورجوازي في اختيار الأذواق الرفيعة و نخلص من هذا إلى أن « الأرياف تتبع العواصم و القرى المدن »¹ إننا لا نستغرب حينما نجد الاكتشاف الجديد و نغني به الاسم عندما يسجل ضمن قائمة أسماء الموضة قد اكتسح في البداية كبريات المدن، ينتهي به المطاف في القرى و المناطق الريفية.

غير أن الفارق بين الفضائين أخذ يضيق نتيجة وسائل الإعلام التي دخلت كل البيوت بما فيها المناطق الريفية وقد أتاح هذا الطرف الجديد تغييرا في الأسماء كاستيراد نماذج و أذواق متميزة و أول ما يجب التأكيد عليه « أن التلفزة، الراديو و الصحافة العربية سمحوا و أجازوا إتمام قائمة الأسماء بإبداعات حديثة.»² أمام هذه الوجة الجديدة للأذواق و الظروف التي

1. Philippe BESNARD, Guy DESPLANQUES, op. cit, p. 9

«Le bourgeois donne à ses enfants les noms de baptême en usage dans les familles nobles... La province initie la capitale et la compagne la ville.»

2. Fatiha, DIB, op. cit, p.15

«La télévision la radio et la presse de langue arabe ont permit de compléter la liste des prénoms de création récente.»

تطراً على المجتمعات من حين لآخر، نجد أنفسنا ملزمين أن نكون معاصرين في اختيار الأسماء أكثر مما ينبغي إرجاع الأسماء القديمة إلى الواجهة. والحال إنه في «مجتمع يمرّ بأزمة مثل مجتمعنا ينبغي أن نعيد التفكير في المعاصرة بدل استحداث فترات مكبوتة من الماضي»¹

إنه ثمة نوع من التجديد السريع حاصل في عمق الاختيارات وفقاً للتطورات الجارية التي مسّت عالم الأسماء بما أنه معنيّ بهذه القفزات النوعية، وهذا من شأنه أن يقصي أو يختزل إلى اللأشئىّ الفرضية المؤقتة للتقليد الأسري أو الدين. هذه الفكرة التي طالما سيّرت الأذواق العامة لمختلف الشرائح في زمن معين. و من المفيد أن نؤكد بشكل أكثر عمقا ودقة أنه لا يوجد نهائياً اسم خالد و أبدي و أن حتى ذلك الذي نعتقد أنه مستقر من الأسماء فانهم قد عرفوا سابقا اضطرابات عظيمة.

هذه القفزات التي تشهدها مختلف الأسماء نتيجة الأحداث و المستجدات الطارئة، فتلك التي تشهد اليوم نجاحا عظيما و إقبالا منقطع النظير قد لا يسمع لها صدى بعد مرور سنوات معينة، و يسجل بذلك مؤشرا أدنى درجات النجاح.

و هذا هو حال الأسماء قد لا يعرف الاستقرار فاليوم في قمة الشهرة و غدا في الحضيض.

و بصفة عامة، ليس من المرغوب فيه اختيار اسم الآن و هو منحط، خاصة إذا ما أشرف على مستوى أعلى، و هكذا فإننا لا نستغرب حين نجد الآباء منشغلين بتجنب اسم أكثر انتشارا أو الأكثر عمومية، يقصون الأسماء

1. Farid BRNRAMDANE, A propos des noms propres Algériens, le journal *El Watan*, janvier 1999, p.1 « Dans une société en crise comme la notre, il s'agit de (ré) inventer une modernité que de réactualiser des tranches du passé refoulés. »

التي هي اليوم في القمة حيث أفولها حديث. وإن كانت هذه الميزة من أهم مخلفات الموضة و التي عمدت بشتى الوسائل إلى ترسيخ فكرة ضرورة تجنب الأسماء العامة و المنتشرة. إن الخلف ممن سيكونون آباء في المستقبل أثناء بحثهم عن الاسم لا تجدهم في نفس خط الانطلاق لحظة سباقهم نحو الموضة. بل نجدهم منشغلين أكثر من غيرهم بأن يكونوا في قمة ما هو جدير، و تسجيل أصالتهم، حتى هويتهم الاجتماعية.

غير أن « المسافة الموجودة بين ما هو مشترك و ما هو غريب و شاذ، التي تحدد مجال الأسماء الممكنة ليست معروفة بصورة مماثلة للكل...»¹

من هنا تبرز القرابة الانتقائية بين الاسم و الموضة، هل نتمسك بالأذواق الأصلية أم نجنح وراء الاختيارات الحديثة ؟

و الواقع أن ظاهرة الموضة تنشأ بالتحديد من هذا التوتر الحاصل بين الأصالة و الامتثالية للأذواق الحالية، لأجل الولوج في دائرة الموضة ينبغي أن يكون المنتج الجديد مختلفا تماما عن ذلك المنتج المنتشر و الأكثر استعمالا و تداولاً بين مختلف الطبقات الاجتماعية، و عليه أن يسمح لمكتسبه أن يتميز عن الآخرين.

وبصورة أكثر تحديدا عليه أن يسجل مسافات مع أولئك الذين يريدون أن يتميزوا عنه لكن في الوقت نفسه التأكيد على تشابهه مع أولئك الذين يريدون إثبات هويتهم أو يرغبون في الاقتراب منه، بما أنه يقاسمهم الفضاء و العادات و التقاليد و الهموم.

1. Philippe BESNARD, Guy DESPLANQUES, op. cit, p. 10

«L'intervalle entre le commun et l'excentrique, qui circonscrit le champ les prénoms possibles n'est pas défini de manière identique pour tous.»

إنه الشيء الأكثر ذيوفا و انتشارا، ذلك الذي نتحدث عنه و أعني به التمييز و المحاكاة، إنهما الشديان المغذيان للموضة.

خاتمة

إن أي اسم لا يفرض اليوم أو غدا، بل يلزمه وقتا لأجل الظهور، الانبعاث، النمو و بلوغ النجاح ولا يبلغ الاسم أوجه ضمن الاسماء المطروحة إلا حين تصبح في الوقت نفسه الشخصية التي تحمله معروفة و مشهورة، و سجلت أثرا يجعل من الاسم ذائع الصيت و الانتشار، و من هنا تأسست و بصورة عفوية العلاقة الوطيدة بين شخص ما و مصير اسمه.

لكن ثمة عامل آخر يظهر أنه يلعب دور المحرك في نشر الموضة، و المتمثل في درجة الألفة بمعنى كثرة العلاقات و الصلات ما بين الأفراد أي في العلاقات الاجتماعية.

إن حرصنا على إبراز الدوافع التي تجعل الأسماء الحديثة تنتشر يوجب علينا تبيان و توضيح هذا الانتشار ضمن الطبقات و الوظائف التي تشكل المجتمع في مجموعه.

فالأكثر نزوحا إلى استعمال أسماء الموضة حاليا هم الفئات الاجتماعية الأكثر اتصالا بالعالم الخارجي و بالأخص تلك العائلات التي تشهد كثيرا القنوات عبر الفضائيات.

على العموم فيما يخص انتشار الأذواق العصرية بين مختلف الشرائح الاجتماعية فإننا نجد الوظائف الوسطى و العمال هم الأكثر امتثالية، إنه فيما بينهم أين حققت أسماء الموضة نتائجها الأكثر ارتفاعا و سموًا. و من المنطقي في عمل يخصص للتعرف على الهوية أن يكون الاسم عبارة عن مدلول شخصي جدا لكنه يلعب دورا أساسيا في قضية الانتماء بما أن الهوية في حد ذاتها تمر حتميا عند الكثيرين بالهوية الاسمية. «ومن بين

التساؤلات الهامة التي يعالجها موضوع الأسماء، إشكالية الحرية، فالأسماء على الرغم من كونها عادية، معروفة و مألوقة، و على الرغم من أن الإنسان يختارها ويحس في هذا الاختيار بالحرية المطلقة، غير أن هذه الحرية مقيدة و مشروطة بقيمة دينية أو تاريخية (ثورية، وطنية) أو جمالية وهي مضمرة تفرض علينا الاختيار في فضاء معين دون أن نشعر بهذا القيد.¹

المراجع :

أ. - في اللسان العربي :

- أحمد هبيبي، التسمية في الاسلام، مجلة العربي، الكويت، 1997.
- بن رمضان فريد، من الاسم إلى الرمز، مجلة إنسانيات، مطبوعات المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية. وهران، عدد 09، 1999.
- بوتفوشنت مصطفى، العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة، ترجمة دمري. أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- دادوة حضرية نبية، المرجعيات الدلالية للأسماء. دراسة مقارنة بين منطقتي تليلات و بني عشير،. أسماء و أسماء. الحالة المدنية في الجزائر. مطبوعات المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية. 2005.
- فاطمة الزهراء قشي، التركيبة السكانية لقسنطينة الأسماء والأنساب هوية وانتماء، الاسماء و التسمية، اسماء الاماكن، القبائل و الاشخاص في الجزائر. مطبوعات المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية. وهران، 2005.
- عقون محسن، تغيير بناء العائلة الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 17، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002.

1. دادوة حضرية نبية، المرجعيات الدلالية للأسماء. دراسة مقارنة بين منطقتي تليلات و بني عشير، أسماء و أسماء. الحالة المدنية في الجزائر. مطبوعات المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية. 2005، ص. 60.

(ب) - في اللسان الفرنسي :

- Albert Dauzat, 1939, *Les noms de personnes, origines et évolution*, Paris, Librairie de la Grave.
- Farid Benramdane, 1999, A propos des noms propres Algériens, le journal *El Watan*, janvier 1999.
- Fatiha Dib, 1995, *Les prénoms arabes*, éditions l'Harmattan, Paris.
- Philippe Besnard et Guy Desplanques, 1991, *un prénom pour toujours*, Editions Balland.

الاسم في الأسرة الجزائرية : التراث والحادثة أي دور ؟

دراسة وصفية مقارنة لأسماء طلبة قسمي علم الاجتماع
بجامعتي سطيف و بجاية

حمادوش نوال

أستاذة محاضرة صنف -أ-

بقسم علم الاجتماع - سطيف -2

ملخص :

ما دام أن المجتمع الجزائري يتغير، فالتسمية تتبع بالضرورة هذا التغير وتسايره، وفي ذلك ما مؤداه ظهور ما يشبه بالرجوع للماضوية من أجل الإبداع والتميز. هذا الاسم الذي سيتم البحث في ماهيته ودلالاته السوسولوجية وأسرار تبنيه من طرف البعض وتخلي الآخرين عنه من طرف الأولياء، كل ذلك في منطقتين مختلفتين جغرافيا.

باللغة الفرنسية :

La société algérienne change, le prénom suit. Il s'agit de s'interroger sur les raisons de cette mutation, s'interroger sur les facteurs de cette fécondité au niveau de contenu et comprendre, par la même, le secret d'adoption certains prénoms et rejeter d'autres par les parents algériens dans deux régions différentes ; à savoir la région de Sétif et celle de Bejaia.

باللغة الانجليزية :

As the Algerian society is changing so should the names of its citizens. This change has an impact on some parents who prefer using ancient names to be distinguished and thus more creative.

We are wondering about the reasons, factors as well as the sociological sense of those names that the parents either adopt or reject. We have taken Setif and Bejaia, two different regions, as a case study.

الكلمات المفتاحية :

الاسم، الأسرة الجزائرية، المرجعية، الدلالة السوسيوولوجية.

باللغة الفرنسية :

Le prénom, la famille algérienne, la signification sociologique, la référence.

باللغة الانجليزية :

Name, Algerian family, the sociological significance, reference.

يتم تناول موضوع الاسم باعتباره فرعاً يهتم إما بدراسة أسماء الأعلام والبشر، وهو ما يصطلح عليه بالanthroponymie¹، وإما بدراسة أسماء الأماكن أو ما يسمى ب la toponymie²، من طرف عدة مقاربات فردية مختلفة : لغوية، سيميائية، نفسية، أنتروبولوجية أو سوسيوولوجية أو متعددة التخصص و مركبة.

1. L'anthroponymie, formée de "anthropos" "homme" et de "nymie" "nom", fait partie avec la toponymie (de « topos » : lieux) de la science des noms propres appelée "onomastique", du grec "onoma" qui veut dire "nom propre" : "science des noms propres".

2. Est une branche de l'onomastique. Elle se propose de rechercher leur ancienneté, leur signification, leur étymologie (leur origine), leur évolution, leurs rapports avec la langue parlée actuellement ou avec des langues disparues et leur impact sur les sociétés.

و لعل أهم ما في هذا النوع من الدراسات، أنها تتوصل للبرهان على أن الوعي بالاسم وجه من أوجه الوعي بالذات، الذي غالبا ما يحدد السلوكات الإنسانية، ويضبط الأفعال وينظمها، بل و يؤثر في جل جوانب الحياة.

تماما كما تتوصل لحقائق ذات فائدة من حيث المعنى الذي يتضمنه الاسم و تأويلاته و تقاطعاته التاريخية، الثقافية، الجغرافية والاجتماعية.

وعليه، وإن كان الاسم و على غرار ظواهر أخرى، قد يبدو أنه يتعرض لنفس قوانين العرض و الطلب المألوفة و اليومية، و من ثم فهو يخضع لنفس آليات الاستهلاك و البحث من اجل الإنتاج.

إلا أنه يبقى من الظواهر الإنسانية المعبرة بامتياز عن تصنيفات و انتماءات دقيقة لجماعات، تيارات، مجالات زمكانية بل و لصراعات بين فكرتين، جماعتين... باختصار لنموذجين أو أكثر.

يكتب محمد سعيد الريحاني أن الاسم وعاء لحمولة دلالية مكثفة¹ : و في هذا القول ترجمة لخضوع الاسم لعدة مكونات أساسية : منها ما هو ديني، قطري، جهوي، لغوي، مجالي، طبقي و جنسي.

ذلك ما مفاده أن الاسم لا يشتغل بطريقة اعتباطية، بل على العكس تماما فهو يسير وفقا لمنطق التدرج الهرمي. حيث تبدأ القاعدة بالاتساع وكما ارتفعنا لأعلى بدأت تضيق لأن تختزل في نقطة الهرم.

فعلى المستوى الطبقي مثلا، تتمركز الطبقة السائدة في القاعدة المنتجة بالضرورة الجديد من الأسماء أو تمحي القديم منها، محاولة بذلك التمييز عن باقي الطبقات وعن الرائج من الأسماء، ثم يضيق الهرم نحو الطبقات الدنيا مبتعدة أكثر فأكثر عن المركز.

1. محمد سعيد الريحاني : الاسم المغربي وإرادة التفرد، دراسة سيميائية للإسم الفردي، مطبعة السليكي إخوان، طنجة، المغرب، 2001، ص8.

تماما كما هو في المستوى المجالي، أين تتمركز الطبقة المتمدنة في القاعدة المنتجة للأسماء، ليضيق الهرم نحو سكان القرية فالأرياف حيث تتلاشى الأسماء في الهامش مع مقارنة بالقاعدة العريضة؛ وهكذا بالنسبة لباقي المستويات.

وعليه ووفقا لهذا المنطق الهرمي، وبالإسقاط التطبيقي :

لن نضيف شيئا جديدا، عندما تتم الإشارة إلى حقيقة مفادها أنه : يسهل على أي جزائري أن يتوقع عند التعرف حديثا عن اسمه سيد علي أو حتى سي أحمد للذكور مريومة و فاطمة الزهرة للاناث بأنه من العاصمة، أو عن عمار، العمري و العمرية، ليخمن بأنه من منطقة الهضاب العليا، بومدين، الهواري و الهوارية بأنه من جهة الغرب وهكذا.

تماما كما هو الحال للطبقات الاجتماعية المختلفة، إذ أن أسماء : مثل شكيب و نجيب أو نايلا و سندرا لا يمكنها نظريا -و بشكل نسبي- أن تكون في نفس طبقة قاسي و الجمعي أو كلثوم و أم الخير..

لهذا و تكملة لكل ما سبق، تؤكد هدى جباس أن كل شخص يُمارس فعل التسمية، إنما يقوم بذلك وفقا لعدة عوامل : تراثية، نفسية، ثقافية، وسوسيو-تاريخية. تُحدّد هيمنة إحدى تلك العوامل نوع المجال الدلالي السائد في نظام التسمية؛ وذلك لأن مرجعية الانتقال تستند إلى نمط العامل الموجّه للشحنة التعبيرية السائدة في الوحدة التسموية ذاتها¹.

و فعلا فالعائد لتاريخ المجتمع الجزائري ككل، يستنتج بسهولة ماهية

1. هدى جباس، « الاسم : هوية وتراث، مقارنة أنثروبولوجية لدلالة الأسماء في قسنطينة (1901-2001) », *إنسانيات / Insaniyat* [En ligne], 29-30 | 2005, mis en ligne le 21 août 2012, consulté le 30 janvier 2015. URL : <http://insaniyat.revues.org/4571>

المرجعية المفضلة لانتقاء وضع الاسم في حقبة زمنية محددة و في مجال جغرافي معين. ذلك ما معناه أن الاسم الجزائري يصبح جزء من المركب التاريخ-ثقافي الجزائري، يتأثر و يؤثر بالضرورة فيهما، كما يتفاعل مع التغيرات العامة و يتحول بشكل مستمر من فعل فردي إلى آخر جماعي.

لقد كانت الأسماء الجزائرية أثناء مرحلة الاستعمار مثلا، أسماء مجزأة في غالبيتها حتى وإن كانت معبأة و بشكل متوازن بايحاءات إما دينية : ذلك حال اسم محمد و أحمد بكل مشتقاته : سيد أحمد، محمد الشريف، محمد الطاهر، محمد مهدي للعروبيين و حمد، محند الشريف، محند أكلي، محند الطاهر للاما زيغ، نفس الشيء لإسم سيد علي، فاطمة الزهراء، آمنة، عيشة، زينب و مريم و غيرها من الأسماء المشتقة من أسماء أهل البيت، الصحابة و الأنبياء.

أو معتدية حال اسم : مسعود، محمود، مبروك، عمار، لمنور، لمطيش، الخامخ وبركاهم، ختيمة، حدة، الخامسة، أكلي للعروبيين و الامازيغ على حد سواء.

أو طيبعية : كاسم الصيد، نواره، وردة، زهرة، فلة، نرجس للعروبيين، غيلاس، خوخة، فروجة، حجيلة، تسكورت، الطاوس للأمازيغ.

ولكن مع انقضاء المرحلة الاستعمارية سرعان ما صاحب تلك الفترة من الاستقلال تغيرا على مستوى تصور الذات بعدما كان أمرا مؤجلا بسبب وجود الخطر الخارجي المستحوذ على كل الاهتمام و الترصد.

هذا التغير الذي يمكن استقراؤه من فسخ المجال لإضافة مرجعيات ثقافية بل وحتى دينية مغايرة من جراء الاحتكاك و قبول أسماء عربية غير جزائرية و مسيحية غير إسلامية، خصوصا بعد تزايد أسفار الكثير من طلبة العلم الجزائريين إلى بلدان كمصر، الحجاز و سوريا و تنامي

استقبال النازحين من الفلسطينيين و التقنيين المساعدين للبلاد المستقلة حديثا من عراقيين، لبنانيين وأردنيين؛ ناهيك عن غزو الأفلام السينمائية و المصورة، ليسجل القاموس الإسمي في السبعينات حضور أسماء مثل : عمر، علاء، عبد الحليم، عبد الوهاب، فراس، مراد، نبيل، منير شادية، سامية، سناء، فاتن، منى، أماني و تهاني و غيرها من الأسامي المشرقية التي اشتهر بها الممثلون و المغنون و الكتاب و الأدباء.

هذا و في فترة الثمانينيات، و مع موضة الأفلام الأجنبية : الأمريكية و الفرنسية عاود الغزو الغربي ظهوره و خصوصا على مستوى أسماء مثل : سامي، ريمي، ليندا، صابرينة، صارة، صونيا، ليديا، نادين، صابن، و غيرها.

تماما كما عرفت هذه المرحلة تجاذبات سياسية مهمة منها ما تعلق ما عرفه المجتمع الجزائري من انتفاضة الربيع الأمازيغي، حيث جاءت كردة فعل لعدة مضايقات لطالما ذكرت بأنها كانت تتناسب مع السياسة المنتهجة وقتذاك، كشدّة الزحف السريع للعملية التعريبية التي باشر تنفيذها الرئيس الراحل (هوارى بومدين)، التي يُعترف لها بأنها لم تكن موجهة لمنطقة دون أخرى، بل شملت كامل التراب الوطني؛ إلا أن وقعها على الأمازيغ كان قويا و عنيفا على المستوى الرمزي، حيث شهدوا توحيد لغة كتابة اللافتات، اللوحات الإشهارية و الإشارات المرورية. فكانت تلك المكتوبة بالأمازيغية كغيرها المكتوبة بالفرنسية هدفا طبيعيا للمحو و الاستبدال، كما عاشوا استياء و إحباطا عاما، إثر رفض موظفي بلديات المناطق التي يسكنونها تسجيل مواليدهم بأسماء أمازيغية¹.

هذا النوع من الممارسات، الذي يحكم المتتبعون، بأنه قد ألقى بظلاله

1. Pour plus de détails voir : Ali GUENOUN : *Chronologie du mouvement berbère : un combat et des hommes*, édition casbah, Alger, 1999.

بقوة على علاقة الأمازيغ بغيرهم، وأصبحت ذكراه مؤلمة بالنسبة لكل واحد منهم، بشكل راحوا فيه يتذكرونه كل سنة بعد مروره، ولتسميته بالربيع الأمازيغي الأسود، تماما كما أدى بهم لأن يصبحوا أكثر راديكالية في مطالبهم و تصوراتهم حول اللغة و الهوية الامازيغيتين ؛ و ليست عودة التسمية الأمازيغية بقوة، سوى واحدة من السلوكات المندرجة ضمن خانة الرد الفعل الهوياتي، لنجد أسماء نهاية الثمانينات و ما بعدها، أكثر من ذي قبل تعود من التاريخ البعيد ك: ماسينسا، ماسيل، يوغرطة، يوبا، يوسيل، ريناس، كسيلة، كاهنة، ثننة، تيزيري، ديهيا، تالا، كنزة¹.

و منها ما تعلق بالاستفاقة الإسلامية، حيث جاءت هي الأخرى في هذه المرحلة من تاريخ المجتمع الجزائري، حيث ظهر من أعاد الحديث عن الإسلام باعتباره مركز الحياة في المجتمع و المنبع الأول الوحيد لتأسيس الهوية الجماعية للجزائريين.

فكان الطلب المجتمعي بعيدا عن الاحتكام لاقتصاديات السوق، و ما تحتمه هذه الأخيرة من السلوك العقلاني تجاه النوعية و الثمن، و ما إلى ذلك من الاعتبارات. حيث قامت غالبية المجتمع الجزائري، بعدم إرهاق نفسها و بمنطق الاقتصاد في جهد التفكير و الاختيار، وانجرت وراء المشروع الأقرب من النسق المعرفي الذي تمت تنشئته رسميا و لا رسميا عليه، ذلك حتى و إن كان هذا المشروع ميتا قبل ولادته².

و ليس وراء اندفاع الغالبية وراء التيار الإسلامي، سوى أنها رأت فيه

1. وهي ذاتها أكثر الأسماء تكرارا في قائمة طلبتي المسجلين بقسم علم الاجتماع، بجامعة عبد الرحمن ميرة - بجاية -، للسنوات الجامعية 2004 و حتى 2007 من مواليد سنوات 1984 و حتى 1988.

2. Monique Gadant : «Après octobre 88 : la crise du nationalisme et ses enjeux », In Revue de Naqd, N° 02, février / Mai 1992, Alger, p. 71.

المخلص لها من فساد النظام السياسي الحاكم : الشيء الذي يحيل عن عمق الهوية بين النخبة الحاكمة و باقي الشعب ؛ و المسترجع لها للهوية الثقافية والوطنية للجزائريين، و في ذلك عرض لصور فيها الكثير من الحنين للماضيوية الدينية في نقائها الأول مع تجربة المدينة¹. و أمام هذا المعطى شهدت مصالح الحالة المدنية سيلا مستجدا من الأسماء الموازية لهذا المشروع و ذلك مثل : عبيدة، جمال الدين، عبد الرحمن، عبد الباسط، طه، إسحاق، أنس، إسلام، نصر الله، صلاح الدين، صهيب، ياسين، ضرار، رحمة، صفا، سندس، مروة، جنى، آية، أنفال، سلسبيل، آلاء، سدره، تسنيم،² وغيرها.

وأما و ابتداء من نهاية التسعينات و إلى يومنا هذا فقد التحق الجزائريون بالموجة المعاصرة للتسمية و التي تحاول اختيارا أو قصرا، قناعة أو احتيارا المزج بيت الأصالة والعصرنة، التركيب بين المحلي و الوافد و المفاوضة بين اختيارات فردية و جمعية، خصوصا و أن المرجعيات الثقافية لم تتوقف على مد أسماء ذوات حمولة عربية و دينية فحسب كما عهدناه في المراحل الأولى، بل تجاوزتها لتكون معمولة لتشمل الفرنسية، التركية، المكسيكية، و حتى العبرية... الخ.

و يكفي في هذا الصدد معاينة التطور الذي عرفته الخارطة التسمية

1. كريمة بن عامر، "الهوية و الدين : التجربة الجزائرية نموذجا"، في فعاليات اليوم الدراسي "الجزائريون و رحلة البحث عن الهوية"، المنعقد بتاريخ 21 أبريل 2003 بالمركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر، قسم علم الاجتماع، ابن خلدون للنشر، 2006. ص 40.

2. و هي الأسماء التي يمكن ملاحظة تكرارها في قوائم طلبتي المسجلين بقسم علم الاجتماع، بجامعة فرحات عباس سابقا، و محمد دباغين حاليا - سطيف، للسنوات الجامعية 2008 و حتى يومنا هذا من مواليد سنوات 1989 و حتى 1999.

الجزائرية دلالةً، تركيباً، نطقاً¹ وذوقاً على مدى قرن من الزمن، حتى نستنج أنه هناك من الجوانب كالدلالية منها والتصنيفية و التي سجلت حضورها بقوة أكثر من غيرها، فشرعية الانتماء الديني التي سجّلها الفعل التسموي صريحة في بداية القرن العشرين باعتماده لأسماء من قبيل الاسم الرمزي «محمد»، «مريم»؛ هي نفسها التي سعى لمحاكاتها ضمناً بداية القرن الواحد والعشرين لكن بمخزون دلالي ورمزي مُغاير وبرؤية تصنيفية خاصة شكّل فيها هاجس الابتكار والإبداع أكثر من ضرورة: فأصبح الراءج: محمد رسيم، محمد لامين، أحمد يعقوب، احمد نزييم، محمود ينيس مثلا للذكور، آية ليليا، ميريام آنيا، صارة كاتيا، ماريا شريفة للإناث.

تماما كما حدث لأسامي تركية في الأساس مثلا و التي قد تم جزأرتها : ك سكندر حسين، رسلان عبد القدوس، كنان جمال الدين، إياد- عبد المجيد، ميرال اسمهان، شهيناز، شانيزو وغيرها.

لدرجة قد تساءل البعض ممن يشتغلون في الحالة المدنية، بل و يبالفون حين يعتبرون الأولياء الذين يسمون بهذه الأسماء القديمة الجديدة، بالمنافقين، كونهم و إن حاولوا التركيب بين أسماء ذات حمولة دينية في الأساس وأخرى دنيوية ذات وقع خفيف وعصري، فإنهم يهجرون الأولى لحساب الثانية ؟ ؟ ؟ و بالتأهين بين المحلي و الوافد، حيث أنه لطالما غلبت الكفة للأجنبي على حساب الأصلي.

و مهما تكن التعاليق و الأحكام القيمية التي تصدر عن هؤلاء أو غيرهم،

1. تجدر الإشارة إلى أن حتى نطق الأسامي في مجتمعنا قد تغير إذ: يُنطق ريان في إحدى عائلات أقاربي بمنطقة بجاية: ب غيان و سيدرا ب سيدغا و مهدي ب ميدي، وهكذا. حيث يبدو أنه يفضل إضفاء اللكنة الأوربية عند نطق الاسم، حتى و إن لم يكن أوريبيا في حد ذاته.

فالأکید أنه هناك أكثر من أي وقت مضى، تغير حاصل على مستوى الإحساس لدى الآباء عموماً، حيث باتوا يشعرون بالتححرر من قيود التسمية المستندة للمرجعيات التقليدية : كتلك الخاصة بمرجعية الغائب والمتوفى، الديني، الجماعي و المشترك المؤلف ؛ و ما تسميات أبنائهم الذين يتوصلون لمعرفة جنسهم حتى قبل ميلادهم، -الأمر الذي لم يكن متاحاً قبلاً-، و التي أصبحت تخضع للتفكير المسبق، التفاوض بل و التفاضل، إلا ترجمة لإرادة مضمرة لديهم على تخطي التصنيفات الثقافية، الجغرافية و الاجتماعية من خلال الاسم المهدي للمولود والتحرر بالتالي بها إلى آفاق الاختلاف و التميز.

و في هذا الاستنتاج توافق ما تم التوصل إليه في دراساتي السابقة حول التشكيل الهوياتي في المجتمع الجزائري¹، في كون أن ما عاشه أفراد هذا المجتمع من جولات البحث عن الذات والهوية، أدت بهم و كرد فعل يخلصه من حالات التيه، لتبنى هوية خاصة بهم، ليست لا إسلامية، و لا هي ديمقراطية علمانية.

و بذلك أصبحوا على حد وصف (صادق جلال العظم)² من بين الأفراد الذين يعيشون ضمن المجتمعات التي لا يوجد فيه أي شيء يسير وفقاً للمبادئ الإسلامية أو يتوافق موضوعياً مع الشريعة الإسلامية ؛ كما أنه لا يسير فيه أي شيء، وفقاً للأسس الديمقراطية و الحريات الفردية و الجماعية، المنفصلة بشكل تام عن الدين.

1. حمادوش نوال : السلوك اللغوي و الهوياتي في المجتمعات المغاربية، دار الأيام للنشر و التوزيع، الأردن، 2014، ص ص 1.298.

2. Sadik Djala Al Azm : « Un difficile dialogue de civilisation : sur l'islam et la société et l'occident », In Le monde diplomatique, septembre 1999, pp. 16, 17.

و عليه، يكفى النظر لمختلف السلوكات التي تحدث في الواقع الجزائري وتحليلها، كما فعل لهواري عدي¹، مثلا بمقارنته لقانون الأسرة، بل وليكانزمات التسمية ومرجعياتها حتى يتم البرهنة على صحة الاستنتاجات السابقة.

لقد تغير المجتمع، و تغيرت جل الممارسات الاجتماعية الكائنة ضمنه، والاسم باعتباره واحد منها قد أضحي مكونا سوسيوثقافيا بامتياز، وممررا بشكل مستمر و متواصل لقرارات الشعور إلى اللاشعور. ومن ثم فهو أكثر من ذلك فاعل إيحائي في شخصية ليس الابن فحسب، بل وحتى في شخصيات أوليائه². الذين و بدافع الانتقام لما سميوا به في مراحل سابقة، احتكاما لأحادية المرجعية و تقليديتها ؛ راحوا في الآونة الأخيرة إلى استغلال كل المصادر مهما كانت صفتها تراثية أو مستجدة، قديمة أو جديدة، عربية أو غربية، إسلامية أو مسيحية من أجل اختيار ما يمكنه أن يترجم المعنى الذي يريدون إضافوه على الاسم.

و عليه و كمحاولة للخلاص إلى خاتمة :

إن التركيز على إظهار الفروق بين المنطقتين الجغرافيتين المختلفتين، و كونهما مجالين تسودهما أسماء غير متشابهة من حيث سواد المرجعية التي تستوحى منها الأسماء، لا يحيل في مضمونه إلى أن مناطق الهضاب العليا، ومنطقة سطيف بالذات، تستند سوى على إيديولوجية الديني و بشكل إقصائي عند التسمية، أو أن مناطق القبائل عموما، والصغرى بصفة أخص، لا تعترف إلا بمرجعية الإرث الحضري القديم ؛ بشكل قد يفهم فيه أن السطايفيون أكثر إخلاصا للمرجعية الدينية أكثر من غيرهم من الجزائريين، و أن البجاويون أكثر رجوعا للوراء ؟

1. Lahouari Addi : *Les mutations de la société Algérienne : famille et lieu social dans l'Algérie contemporaine*, la découverte, Paris, 1999, pp. 74, 78.

على العكس تماما، فيحدث أن تتواجد مرجعيات موازية في كلتا المنطقتين في ظل الحفاظ على مبدأ الأفضلية الغير عفوية، ما دامت تقوم بهندستها جملة من الظروف و الأحداث.

هذا المبدأ الذي يبدو بأنه لا ينكف يتغذى من محاولات التماهي الهوياتي مع النموذج الأقرب للتعبير عن الذات في كل منطقة على حدى ؛ ذلك في انتظار التوصل بهدوء و اعتدال على حد وصف محمود قداش¹ لنموذج لا وطني (ni nationaliste) و لا غربي (ni occidental)، يقوم على حقائق موضوعية متعلقة بالمجتمع الجزائري، بظروف مر بها و حالات عاشها وثقافات تعاطى معها و طموحات شكلها من خلالها.

1. Mahfoud Keddache : «La guerre d'Algérie au miroir des décolonisations françaises», In Actes du colloque international en l'honneur de Charles. Ageron, Sorbonne, 2000, édition société française d'histoire d'outre – mer, 2000, pp. 677, 683.